

النابغة الذبياني

شاعر الاعتذاريات ومحكم شعراء عكاظ

أنا النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع، ذبياني أبا وأما، وكنت أكنى بأبي أمامة وأبي ثامة، وهما ابتائي، كما كنت ألقب بالنابغة، وبهذا اللقب اشتهرت، ولعل مراد ذلك إلى بؤغي في شعري وتفوقي فيه، وتفردني عن أقراني بفهمي أصول الشعر وتمكني منه؛ فقد كانت حياتي على كثرة الحروب التي شهدتها حافلة بالمجد الإنساني، وحافلة بالكثير من المشاعر التي تحولت إلى أشعار خالدة.

وأنا من أبرز شعراء عصري وأكثرهم شهرة في أدبي، وقد عشت في بيئة لونت حياتي وشعري بكثير من المآثر الإنسانية، خصوصاً أنني قد تعرضت إلى كثير من الأمور الجسام التي ربما تشظت في شعري وقصائدي المتنوعة وأخرجت نتاجاً مؤثراً. عرفت بأنني من أشراف «ذبيان»، ومعروف أن قبائل «نجد» كانت تدين بالولاء للمناذرة، وكانت «ذبيان» تدخل في هذا الولاء، فبدهي أن أقصد «النعمان بن المنذر» وأن أضفي عليه مدائحي، وقد سر «النعمان» بوفودي عليه فقرّبني منه ونادمني، حتى أصبحت شاعره الفذ.

لكنني اضطررت إلى مغادرة بلاط المناذرة والتوجه إلى بلاط الغساسنة؛ إذ أوقعوا بذبيان وأحلافها وقعة منكرة، ولم أجد بداً من السعي إلى الغساسنة أمدحهم حتى يكفوا عن قومي، ويردوا الحريرة إلى من سبوه منهم، وقد مدحتهم مدحاً رائعاً ففعلوا عمّن أسروه.

وبذلك كان ذبي

عظيماً عند المناذرة، وبخاصة عند ملكهم «النعمان». وبذلك بدأت في اعتذاراتي المشهورة، التي قدمتها إلى «النعمان» فعفا عني، وعُدت إلى بلاطه من جديد. كنت سيّداً من سادات قومي وكنت

على دين قومي، أعبد آلهتهم الوثنية، غير أن شعري كان يحتوي على حكمة واضحة، وكنت ممن حرم الخمر والأزلام في الجاهلية. وقد تبوّأت مكانة شعرية عظيمة؛ إذ كان الشعراء في الجاهلية يعرضون علي في المواسم أشعارهم، فكان يضرب لي قبة بسوق عكاظ، فيأتيني الشعراء، فيعرضون علي أشعارهم.

وقد عدت بعد موت «النعمان بن المنذر» إلى قبيلتي وأمضيت فيها بقية حياتي. وقد اشتهرت بأنني من الشعراء الذين يجودون شعرهم ويتقحونه، بل لا يزال أنقفه وأصقل فيه حتى يستوي اللفظ والديباجة الجزلة، ولعل في مدحني الغساسنة - وبخاصة قصيدي البائية - ما ينم عن أنني كنت أختير ألقاظي وأعرف كيف أنوع في المعاني وكيف أشكل صورتي وأنا أستهلها بوصف طول الليل، وما تجمّع علي من هموم.

ولعل اعتذاراتي من أجمل وأجود الشعر في العصر الجاهلي، فقد استعنت بموهبتي في اختراع الصور والمعاني لأقدم قصائد تعد

من الروائع لما فيها من صدق اللهجة وسهولة اللفظ وحسن الديباجة، وقد أسعفني في ذلك ذوقني الحضري الذي خلصني من خشونة البدو ومن الأنفة الجامحة.

كيف استعان الذبياني

بمؤهبتة وذوقه

الحضري في التخلص

من خشونة البدو؟